

مدارج النحو

(تجربة ذاتية في تعلم النحو وتعليمه، مع خطوات عملية لدراسته)

سالم القحطاني

عالم الأدب
FOR TRANSLATION AND PUBLICATION

عالم الأدب
FOR TRANSLATION AND PUBLICATION

مدارج النحو

منشورات ابن النديم
Ibn Nadim Editions

البُغض الشديد للنحو

كنتُ قديمًا أبغض علم النحو بغضًا شديدًا، وقد قرأت أن العلامة شيخ العربية في هذا العصر محمود شاكر رحمه الله كان كذلك يبغض العربية، ولستُ أدري من الذي زرع في قلبي هذا البغض الشديد، نعم (من جهل شيئًا عاداه) ولكن أحاول الآن أن أتذكر موقفًا محددًا أو شخصًا معينًا كان سببًا في هذه الجريمة وهي بغض العربية = إلا أني لم أفلح.

هل كانت المناهج المقررة في المدرسة هي السبب؟ أم المدرسون؟ أم أنا؟ أم كل ذلك؟

www.aalamaladab.com

مــدارج الـنـحـو

(تجربة ذاتية في دراسة النحو وتعليمه، مع خطوات عملية لدراسته، وتعريف بجملة من مؤلفاته)

مـــدارج الـنـحـو

(تجربة ذاتية في دراسة النحو وتعليمه، مع خطوات عملية لدراسته، وتعريف بجملة من مؤلفاته)

سالم القحطاني

المُحتَوياتُ

* «قَلَّ رجلٌ أنعَمَ النظرَ في العربيةِ، وأراد علمًا غيرَه إلا سَهُلَ عليه».

أبو زكريا الفرّاء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين:

أما بعد:

فقد أحسن بي الظن جماعة من الإخوة وتكرر السؤال منهم حول (منهج تعلم النحو)، ولما كانت المناهج المدونة حول النحو والصرف كثيرة ومتداولة وكان رأيي -وما زال- في هذه المناهج النحوية وغيرها= أن الأمر فيها واسع، فبِأيّها اقتديتَ= اهتديتَ، فهي متقاربة، والخطب فيها سهل، ولا يعجبني الإغراق في هذه المنهاج وتتبعها والمقارنة بينها والمفاضلة فيمضي عمر الطالب بحثًا عن المنهج وهو لم يتحرك من مكانه.

ولكن لما تكرر السؤال= أحببت أن أجيب السائل بما هو أعم وأنفع من ذلك[1]، وألا أجعل الكتاب مقصورًا علىٰ (منهج تعلم النحو) وذلك أني جعلته منتظمًا في الفصول التالية:

- **الفصل الأول:** تجربتي في تعلم النحو.
- **الفصل الثاني:** تجربتي في تعليم النحو.
- **الفصل الثالث:** الخطة المقترحة لدراسة النحو.
- **الفصل الرابع:** التعريف بكتب نحوية.
- **الخاتمة:** وفيها وصايا للمتعلمين والمعلمين.

هذا وقد مكثتُ أيامًا أفكر وأستشير الناس في عنوان الكتاب، وكان من أحسن المقترحات التي وردتني أن أسميه **(مدارج النحو)** فاستحسنته علىٰ تردد، ثم خطر لي أن أقرأ في الموسوعة بل المكتبة اللغوية الكبيرة (تاج العروس من جواهر القاموس) للزبيدي، وأنظر ماذا يقول عن هذه الكلمة: (مدارج) فإذا به يقول:

(وهذا الأمر (مدرجة) لهذا أي: متوصلٌ به إليه، ومن المجاز: امشِ في (مدارج) الحق، **وعليك بالنحو فإنه مدرجة البيان . . .)!**

---

(١) وكان من هدي النبي ﷺ أنه يجيب السائل أحيانًا بأكثر مما سأل عنه، وللبلاغيين عناية بهذا المقام وبحث.

فاستبشرتُ خيرًا بهذا النص وفرحتُ به، وقلتُ لعلها إشارة ربانية، فاعتمدتُ هذا العنوان، ومن الله القبول والسداد.

وليس كتابي هذا صالحًا للشرعيين فحسب، بل هو صالح إن شاء الله لكل راغب في تعلم النحو، ولا يستغني مثقف عن علم النحو، أيًا كان تخصصه، ما دام سيتكلم بالعربية أو سيكتب أو سيقرأ فهو مفتقر إلىٰ النحو، يدخل في هذا الصحفي والمذيع والروائي والشاعر والكاتب وهلم جرًا.

وفي ختام المقدمة أرجو الله تعالىٰ أن يبارك في هذا الكتاب، وأن يجعله خالصًا لوجه الكريم لا رياء فيه ولا سمعة، وأن يكتب له القبول، والحمد لله رب العالمين.

سالم القحطاني

٢٤ رجب ١٤٤٠هـ

٣١ مارس ٢٠١٩م

الفَصْلُ الأَوَّلُ

تجربتي في تعلم النحو

* «تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل».

شعبة بن الحجاج

البُغض الشديد للنحو

كنتُ قديمًا أبغض علم النحو بغضًا شديدًا، وقد قرأت أن شيخ العربية في هذا العصر محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان كذلك يبغض العربية، ولستُ أدري من الذي زرع في قلبي هذا البغض الشديد، نعم (من جهل شيئًا عاداه)، ولكن أحاول الآن أن أتذكر موقفًا محددًا أو شخصًا معينًا كان سببًا في هذه الجريمة وهي بغض العربية= إلا أني لم أفلح.

هل كانت المناهج المقررة في المدرسة هي السبب؟ أم المدرسون؟ أم أنا؟ أم كل ذلك؟

قد يكون كل ذلك، وقد أكون أنا وحدي من يتحمل ذلك، ولكن الذي يجعلني أرفض الخيار الأخير أو علىٰ الأقل أن أشك فيه= أن أصحابي وأترابي الذين كانوا معي في نفس الفصل والمدرسة كانوا يعانون الأَمرّين من مادة اللغة العربية، ثم مرت

الأيام والسنون فعلمتُ أن الجيل بأكمله يعاني من ذلك ولست أنا وأصحابي فقط.

لقد درست مادة اللغة العربية من الابتدائية إلىٰ الثانوية (اثني عشرة سنة عجاف) وتخرجت في الثانوية وأنا لا أفرّق بين الاسم والفعل والحرف.

وبدراسة جيدة لكتاب واحد -وهو الآجرومية- وفي أيام معدودة= استطعتُ أن أعرب بعض الجمل، فهل يُعقل هذا؟ وأين الخلل؟

ومع ذلك فما زلت أرىٰ أن الخلل مركب من الجميع ومشترك، وما أبرئ نفسي.

لقد كنت أعيش في تلك الفترة، أعني ما قبل ٢٠٠٢م حالة من عدم المبالاة بجميع العلوم والمعارف، وكنت -غفر الله لي- أتخلص من الكتب الدراسية برميها في (النفايات) لأنها كانت تذكرني بالدراسة والمدرسة، لكن بغضي للغة العربية كان أشد، فمن ذلك أن العادة جرت في قاعات الامتحان أن الطالب إذا لم يعرف الإجابة فالحيلة هي أن يكتب أيَّ شيء لعله يصادف الإجابة الصحيحة، وكانوا ينصحوننا دائمًا بعدم ترك الورقة خالية بل نكتب أي شيء، من باب (إن لم تنفعك= فلن تضرك) وكنت أفعل هذا مع كل العلوم والمواد، وانتفعت بهذه الحيلة كثيرًا، ولكن من شدة بغضي لمادة اللغة العربية فإني كنت أقلب الورقة

مباشرةً ولا أفكر حتىٰ في اختراع جواب من رأسي لعله يصيب، وجرت العادة في أيامنا -فيما أذكر- أن الصفحة التي تكون قبل الأخير مخصصة للإعراب فقط، فإذا وصلتُ عند تلك الصفحة امتعضتُ وقلبتُها مباشرةً دون تفكير أو محاولة، لقد كانت تلك العبارة التي تقول (أعرب ما تحته خط) تجلب لي الهم.

وصدق علي بن أبي طالب ﵁ حين قال -يُروىٰ عنه موقوفًا ومرفوعًا- (أَبغضْ بغيضك هونًا ما= عسىٰ أن يكون حبيبك يومًا ما).

مكره أخاك لا بطل

في عام ٢٠٠٢م تقريبًا منّ الله علي بنعمة الاستقامة، وبدأتْ نظرتي للأمور والحياة من حولي تختلف، كنت حينها في السنة الدراسية الأخيرة (الثالث ثانوي).

في هذه الفترة قدّر الله ﷻ أن تعرفت علىٰ صديق مبارك في مسجد من مساجد منطقة (الدفنة) -حيث ولدتُ ونشأتُ- وكان في ذلك الوقت يندر أن تجد شابًا متدينًا، فلما رآني أقبل إليّ فرحًا ودار بيننا حديث ونصحني بطلب العلم وأن ألتحق بجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض بعد التخرج في الثانوية، وقد صادفتْ نصيحته قلبًا خاويًا فتمكنتْ، وغني عن القول إني وقتها لا أعرف ماذا يعني (طلب العلم) بالتحديد، لكن كل الذي فهمته أني سأكون أقرب إلىٰ الله وأنه سيساعدني علىٰ فهم الشريعة.

الصدمة كانت حين أخبرني هذا الصديق أنه يجب عليّ أن أستعد من الآن وأن أهيئ نفسي للدخول إلىٰ الجامعة، وشرح لي

أن المواد في الجامعة دسمة وكبيرة وصعبة، فتحتاج أن تتأسس تأسيسًا قويًا قبل دخولك، وإلا فستتورط وترجع كما رجع غيرك.

ومن العلوم التي يجب أن تتقوىٰ فيها= علم النحو!

وتابع قائلًا: وذلك لأنهم يدرسون كتابًا كبيرًا وصعبًا اسمه (الألفية)، ولذلك عليك أن تدرس كتابًا مختصرًا قبله اسمه (الآجرومية)!

(نحو - إعراب - ألفية - آجرومية)!

لقد عاد العدو الشرس مرة أخرىٰ للمواجهة، إنّ النحو الذي تفرّ منه فإنه ملاقيك.

لقد كان كلامه محبطًا لي إلىٰ الغاية، ووجدت صعوبةً وقتَها في فهم العلاقة الرابطة بين (الشريعة) و (النحو)، فكنت أقول بكل سذاجة لا تخلو من براءة= أنا أريد أن أتعلم القرآن والسنة، فما علاقة ذلك بـ (ضرب زيد عمرًا)؟![1].

(١) قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في شرح ألفيته: «وقد اتفق العلماء علىٰ أن النحو يحتاج إليه في كل فن من فنون العلم، ولا سيما التفسير والحديث».

المواجهة الأولى مع النحو

وبالفعل: أخذت بنصيحة صديقي وتأبطتُ كتاب (التحفة السنية شرح الآجرومية) ويممت وجهي نحو شيخٍ لأدرسه عليه.

كان موعد الدرس تحديًا جديدًا بالنسبة لي حيث كان بعد صلاة الفجر، ولم أعتد علىٰ الدراسة في هذا الوقت، ولك أن تتخيل أن هذا أول درس أحضره في حياتي.

لقد كان درسًا ثقيلًا عليّ مضمونًا وزمانًا ومكانًا، أما المضمون (فنحوٌ) وحسبك به غثاثة، وأما الزمان فبعد الفجر مباشرة، وأما المكان فلم يكُ قريبًا من بيتي، لذلك كنت أحتاج أن أستيقظ قبل الفجر لأدرك الصلاة عنده، وكان هذا صعبًا جدًا علىٰ شاب مثلي عرف الاستقامة والتدين منذ أيام فقط.

وما زلت أذكر أني كنت أنام وأنا أقود السيارة في ظلمة الفجر، وكم من مرة انحرفت بي السيارة ذات اليمين وذات

الشمال فأستيقظ من صوت الحجارة علىٰ العجلات ويسلمني الله، وإلا لكنتُ الآن (شهيدَ النحو).

في فترة دراستي للكتاب علىٰ هذا الشيخ الفاضل،كنت صادقًا ومخلصًا جدًا في رفع الجهل عن نفسي في هذا العلم، لم أكن أبغضه في هذا الوقت، فقد تصالحت معه وعقدتُ (عقد صلح مؤقت)، لأني أريد منه أن يدخلني إلىٰ الجامعة ثم ينصرف عني، فقد كان الدخول إلىٰ الجامعة حلمًا عظيمًا بالنسبة لي، وكنت أدعو الله ليلَ نهارَ في سجودي كي ييسر لي الدخول فيها، ولا سيما أن نسبتي في الثانوية كانت ضئيلة جدًا ولكني دخلتها بتوفيق الله ﷻ، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

درستُ الكتاب كاملًا علىٰ الشيخ ولما فرغت منه كان لسان حالي كما قال ذاك التلميذ لشيخه:

(أما أنتَ فجزاك الله خيرًا، وأما أنا فلم أفهم منه حرفًا)[1].

هل كانت المشكلة في الكتاب أم في أسلوب الشيخ أم فيّ أنا؟ أم المجموع؟

---

(١) يروىٰ أن رجلًا قرأ علىٰ الإمام المازني «كتاب» سيبويه في مدة طويلة فلما بلغ آخره قال: «أما أنت فجزاك الله خيرًا، وأما أنا فما فهمت منه حرفًا» [البداية والنهاية لابن كثير]

لستُ أدري، لكن هذا الذي حصل، وخدعتُ نفسي أني قد درست الكتاب، ثم درست بعضًا من مسائل الفقه علىٰ شيخ آخر، وبعضًا من مسائل أصول الفقه علىٰ شيخ ثالث، ثم التحقت بالجامعة.

ودراسة هذه العلوم الثلاثة كانت بتوصية مباركة من الصديق المتقدم الذكر، بغض النظر أني لم أفهم من أصول الفقه إلا مسألة واحدة وهي الأحكام التكليفية الخمسة، وأما درس الفقه فقد كان مأساة حقيقة، ولم أفهم منه إلا أن معنىٰ (الاستنجاء) هو إزالة النجاسة، وما زلت أذكر -ولن أنسىٰ- حينما سَخِرَ مني الشيخ علىٰ جهلي بهذا (المصطلح الفقهي) وكان ذلك أمام طالب آخر، وعلماء التربية يعرفون تأثير هذا علىٰ نفسية الطالب، فغفر الله للشيخ وتجاوز الله عنا وعنه.

صعود الجبل دون لياقة

فجأة ودون مقدمات، وجدت نفسي وجهًا لوجه أمام (الألفية)، ولا أحتاج أن أُذكرك أني أدرس الألفية في الجامعة وأنا عمليًا لا أفرق بين الفعل والفاعل، ليست الطامة في دراستي للألفية علىٰ هذه الحال، بل الطامة الكبرىٰ أن الشرح المقرر علىٰ الألفية هو كتاب (أوضح المسالك) للعلامة ابن هشام الأنصاري، والذي كان يسميه بعض طلاب الكلية -غفر الله لهم- (أوعر المسالك) وهناك تسمية أخرىٰ أشد منها سمعتها من بعض الطلاب ولكن لا أحب ذكرها.

يقولون: (من عرف مصيبة غيره= هانت عليه مصيبته) و (الاشتراك في المصيبة يخفف عليك وقعها) لقد وجدت معظم الطلاب يعانون ويشتكون من علم النحو، ففرحت بذلك، وخفَّ عليّ الأمر، وعلمت أني لست الوحيد.

من الفصل الأول إلىٰ الخامس= كان دكاترة النحو يشرحون لنا الكتاب كما لو كانت عندنا خلفية عن الدرس، وما هم بملومين في ذلك، فالدكتور ليس مسؤولًا عن تقصيرك أو عدم تأسسك في النحو، فهو سيشرح الألفية مع (الأوضح) لطلاب من المفترض أنهم درسوا قبل ذلك ما لا يقل عن كتابين مختصرين في النحو قبل دخولهم الجامعة، هذا هو المفترض.

ولكن -كالعادة- المفترض شيء والواقع شيء آخر، فطائفة كبيرة من الطلاب -لا أريد أن أقول معظمهم- ليست عندهم خلفية تأسيسية تؤهلهم لدراسة كتاب في مستوىٰ الألفية فضلًا عن شرحه العظيم (أوضح المسالك).

لكن هذا الواقع لم يستمر علىٰ ما هو عليه، فقد تداركنا الله برحمته.

سليمان النحوي

في الفصل الخامس من الجامعة دخل علينا رجلٌ طويل النجاد عريض المنكبين، ذو لحية تامة، وعينين غائرتين تنمان عن ذكاء، قد رمىٰ «غترته» فوق رأسه كيفما اتفق له، لا يتكلم في جده وهزله وداخل الدرس وخارجه= إلا باللغة العربية، وما سمعته قط يتحدث بكلمة عامية دارجة واحدة طوال فترة تدريسه لنا، حتىٰ خُيل إلينا أنه أعرابي سقط سهوًا في زماننا هذا، وهذه الصفة -أعني التزامه للعربية في حديثه- لم أرها عند غيره من المدرسين، ومن أخباره في هذا أن الطالب إذا ذكر رقمه أثناء التحضير (بمعنىٰ أخذِ الحضور والغياب) ونطق رقمه باللهجة العامية مثل (ثلاث طعش)[1]= فإنه يَعتبره غائبًا!

الدكتور الفاضل الشيخ أبو عبد العزيز سليمان العيوني له فضل كبير عليّ من حيث يدري أو لا يدري، فما أنا إلا واحد

(١) أي: ثلاثة عشر.

من مئات بل آلاف الطلاب الذين أخذوا عنه وتأثروا به، ولما منّ الله علىٰ راقم السطور بالتدريس في النحو راسلته وبشرته أني حسنة من حسناته.

كان الشيخ محبوبًا من الطلاب، وصاحب طرفة مملوحة، ولغته عذبة، ولم أكن أشعر حينها أنه يتكلف أو يتشدق، بل كان يتكلم بكل أريحية كما يقولون.

ومما أثر بي أني لمست من الشيخ تدينًا ظاهرًا، وصدقًا في اللهجة، وإخلاصًا في التعليم، وأذكر أنه قرأ علينا طرفًا من كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) لشيخ الإسلام ابن تيمية ليبرهن لنا أن الدين واللغة روحان في جسد واحد.

لم أدرس علىٰ الشيخ أيَّ كتاب من المتون النحوية -خلا المقرر الجامعي- ولكن تأثيره عليّ كان -إضافة إلىٰ ما تقدم- أنه:

- أقنعنا أن النحو من الدين.

- أن النحو مفتاح لفهم كل العلوم الشرعية، وأقول أنا الآن (النحو مفتاح لفهم كل النصوص العربية قديمها وحديثها)

- وضّحَ لنا المنهجية الصحيحة لدراسة النحو، وأننا أُتينا من عدم سلوك الجادة في التدرج، وأننا لو أتينا الأمر من بابه لفُتح لنا.

وفي بداية الفصل الدراسي وضّح لنا الشيخ أن معظم الطلاب ليسوا مؤهلين لدراسة أوضح المسالك (المقرر الجامعي)، وفي الوقت نفسه الشيخ ملزم من الجامعة بتدريسه، والوقت ضيق فلا يستطيع أن يترك المقرر ويشرح لنا الآجرومية مثلًا.

فاستقر رأي الشيخ علىٰ أن يدرسنا كتيبًا مختصرًا جدًا من تأليفه اسمه (الموطأ في الإعراب).

ثم انفرجت الصخرة يسيرًا

كان رأي الشيخ سديدًا وبالفعل شرح لنا الشيخ كتابه اللطيف في محاضرة أو محاضرتين، ثم اختبرنا فيه كي يضمن ضبطنا له، احتوىٰ كتابه علىٰ مقدمات أساسية في علم النحو، ففيه زبدة الزبدة، وحجمه صغير جدًا حيث يقع في ورقات معدودات، كما اشتمل -وهذا أهم ما فيه- علىٰ ما لا يستغني عنه المعرب المبتدي من المصلحات، وبعبارة أخرىٰ: ما لا يسع المعرب جهله، فمتىٰ تقول (مرفوع) ومتىٰ تقول (في محل رفع)، متىٰ تقول (ضمة) ومتىٰ تقول (ضم) الخ، ومن نظر في كتابه هذا= عرف قيمته، وحسبك أنه استطاع تحريك الصخرة التي كانت جاثمة علىٰ صدري، فانفرجت يسيرًا إلا أني لم أستطع الخروج من الكهف بعدُ(١).

(١) في هذا: تشبيه لحالي بحال النفر الثلاثة الذين دخلوا كهفًا فأطبقت عليهم الصخرة، والقصة شهيرة رواها البخاري.

بفضل الله ثم علىٰ يد هذا الشيخ الموفق وكتابه المبارك تحولت علاقتي مع النحو من بغض شديد إلىٰ حب، نعم لم يكن حبًا شديدًا، لكني بدأت أشعر أنه علم جميل ومفيد، وأنه من الممكن فهمه وضبطه بعد أن كان أشبه بالمستحيل عندي.

مع أبي محمد الظاهري

في إحدىٰ مكتبات الرياض الزاخرة= وقفتُ -قَدَرًا- علىٰ شرح للآجرومية سماه مؤلفه (أيسر الشروح علىٰ الآجرومية) من منشورات دار ابن حزم، فجذبني عنوانه، وكنت وقتها في أمسّ الحاجة إلىٰ أيّ كتاب يسهل ويقرب لي هذا العلم، لا سيما وأني عزمت علىٰ سلوك الجادة والتدرج في هذا العلم، بعيدًا عن مقرر الجامعة.

أخذت الكتاب وقرأته بهدوء= فوجدته اسمًا طابق المسمىٰ، ويأتي بالمسألة بأوضح عبارة وأيسر إشارة دون تكلف، فاغتبطت بالكتاب وسررت به جدًا وانتفعت به انتفاعًا عظيمًا، ومنذ ذلك اليوم وأنا أحرص علىٰ مؤلفات هذا الرجل، ثم دارت الأيام والليالي وكتب الله لي أن ألتقي بالمؤلف والتتلمذ علىٰ يديه في مكة المكرمة.

وله شرح علىٰ الألفية ميسر أيضًا سأتحدث عنه في موضع آخر من هذا الكتاب إن شاء الله.

مع الآجرومية مرة أخرى

في صيف إحدىٰ السنوات الدراسية= رجعت إلىٰ (الدوحة)، وهناك دلني أحد الفضلاء علىٰ مركز علمي يديره شيخ موريتاني -علىٰ طريقة المحاضر الموريتانية- وهو الشيخ عبد الله العباد، واسم المركز (مركز تميم الداري) الكائن في منطقة (معيذر).

لي في هذا المركز ذكريات كثيرة وطويلة، لذلك سأكتفي منها بما يتعلق بصلب الكتاب كي لا أستطرد.

حين ذهبت إلىٰ المركز -ولعل هذا كان عام ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦م- وجدت الشيخ العباد مشغولًا بطلاب آخرين، فأحالني علىٰ موريتاني آخر وهو الشيخ (عبد الله ولد أحمد القلقمي الشنقيطي)

بارك الله لي في هذا الشيخ وانزاحت الصخرة بعده كليًا واستطعت أن أخرج طليقًا، وفي هذا من العبر والفوائد: أن

فلاحَك وانتفاعك قد يكون علىٰ يد شيخ خامل مغمور لا يعرفه أحد، وألا تجعل تحصيلك مقصورًا علىٰ المشاهير البارزين، وقد نص علىٰ هذا الغزالي كما نقله عنه ابن جماعة في (تذكرة السامع والمتكلم).

كان -وما زال- الشيخ عبد الله ممارسًا للتدريس سنين عددًا، وعرفَ أن معظم الطلاب يحتاجون إلىٰ التسهيل قدر المستطاع، لذلك جعلني أقرأ المتن فقط مجردًا عن شرحه (التحفة السنية)، وبالفعل قرأت عليه المتن فحسب، وفهمته فهمًا طيبًا، نعم لم أفهم كل كلمة فيه، ولكني استطعتُ بسهولة أن أميز أنواع الكلمات الثلاث، وأن أُعرب الجمل السهلة، وأن أقف علىٰ قدمي.

وكعادة الشناقطة كان الشيخ متواضعًا جدًا تواضعًا لم يكن مألوفًا لديّ، ويتمتع بأخلاق عالية، مع لين الجانب، وقدرة علىٰ تحمل ضغط التدريس، وأسئلة الطلاب.

فلزمت الشيخ مدة طويلة تيسر لي أن أقرأ عليه بعد الآجرومية علىٰ فترات طويلة: متن القطر، ثم شرح ابن عقيل، ثم لامية الأفعال، كما قرأت عليه علومًا أخرىٰ كالفرائض وأصول الفقه وغيرها بحمد الله.

والذي يعنينا الآن هو: لماذا انفرجت الصخرة بالكلية مع الشيخ عبد الله؟!

الجواب من وجوه:

منها: أنه كان لا يستطرد ولا يزيد علىٰ ما يذكره صاحب المتن.

ومنها: أنه شرح لي المتن مجردًا دون (التحفة) كما تقدم.

ومنها: أنه كان يجعلني أعرب وأتمرن في كل درس تقريبًا.

ومنها: أني جمعت ذهني علىٰ كتاب واحد وهو الآجرومية، ولم أشغل نفسي بشيء غيره حتىٰ أنتهي منه.

ومنها: وهو أهم الوجوه أن الدرس كان انفراديًا ولم يكن جماعيًا، وهذا أكثر ما نفعني في هذا الدرس، وقد تبين لي بالتجربة أن علم النحو -وكذلك كل علم فيه تمارين وتطبيقات كالصرف والعروض- فإنّ الأفضل أن تدرسه وحدك علىٰ الشيخ، وذلك كي تستطيع أن تتدرب بين يديه، وبهذا تحصل لك الملكة، أما أن تحضر درسًا للمبتدئين في النحو ومعك أربعون طالبًا فإن الفائدة تكون أقل، لأن الشيخ أو الشارح لا يملك وقتًا لجعل الجميع يتمرن أمامه ويُعرب، فإذا فاتك هذا فقد فاتك خير عظيم، وإنما النحوُ الإعرابُ، فإذا استطعتَ أن تُعرب الجمل فقد برهنتَ لنا أنك فهمتَ القواعد النظرية التي شرحناها لك.

نصيحة حازمية

في السنة الدراسية الجامعية الأخيرة عام ٢٠٠٧م: كانت الصورة قد اتضحت لي أكثر، وكنت وقتها قد استوعبت الآجرومية بنسبة ٧٠٪ تقريبًا، وأذكر أني شرحتها كاملةً لأحد الإخوة، وكانت تلك المرة الأولىٰ في حياتي التي أشرح فيها النحو، بل ربما المرة الأولىٰ التي أشرح فيها متنًا من المتون العلمية، وكنت أستعين بشرح الشيخ عبد العزيز الحربي المتقدم.

بعد التخرج من الجامعة انشغلت سنة كاملة (بزاد المستقنع) وهو متن فقهي شهير، وكتاب (بلوغ المرام) في علم الحديث، وصادف أن التقيت بالشيخ أحمد بن عمر الحازمي في الدوحة، حين زارنا لإلقاء دورة في أصول الفقه، وبعد الدرس استنصحتُ الشيخ علىٰ انفراد، وذكرتُ له أني متفرغ حاليًا للطلب ومشتغل بالفقه والحديث، فبمَ تنصحني؟

فقال لي: عليك بالنحو، فإذا أتقنته، سهلت عليك جميع العلوم والفنون.

النحو شغلي الشاغل

أخذت بنصيحة الشيخ، وعزمت علىٰ التفرغ للنحو، وقد قال الطناحي رحمه الله **(من انقطع إلىٰ شيء= أتقنه)** وأرجو الله أن يرزقنا الإتقان.

رجعت إلىٰ (الآجرومية) مرة أخرىٰ وجمعتُ عددًا كبيرًا من الشروح والحواشي المكتوبة عليه، وكنت أقرأ وحدي، وألخص، وأسأل عما يُشكل.

الفَصْلُ الثَّانِي
تجربتي في تعليم النحو

* «كان ابن عباس رضي الله عنهما يعلمنا اللحن»[1].

أبو العالية

---

(١) قيل في معناه: يعلمنا الصواب، وقيل: يعلمنا الخطأ لنجتنبه، وهذا الأثر أصلٌ في التعليم اللغوي، وقد رواه أبو بكر الأنباري في إيضاح (الوقف والابتداء).

التدريس ... من النعيم المعجل

عملية التعلم هي عملية تراكمية، وقد استفدتُ من كل المشايخ الذين أخذت عنهم النحو، فمستقل ومستكثر، وكل شيخ منهم كان يضع اللبنة فيأتي الشيخ الذي بعده فيكمل ويبني عليها.

لذلك لستُ أنكر فضل أحد من مشايخي عليّ، ولكن في الوقت نفسه لست أبالغ حين **أقول إن أعظم وسيلة** تعلمتُ من خلالها النحو -بل كل العلوم- وتطور فيها مستواي، وانتقلت نقلة كبيرة= **هي وسيلة التدريس**، وهي أعظم أثرًا عليك في تكوين الملكة من التأليف، وكلاهما مهم ومفيد، ولكن الفتوحات الربانية التي تحصل في حلقة العلم ومجلس التدريس= لا نظير لها، أقول هذا بعد تجربة ومزاولة للتدريس امتدت إلىٰ اثنتي عشرة سنة، وهي وإن لم تكن مدة طويلة جدًا، لكنها كافية إن شاء الله كي أقول كلمة في هذا المضمار.

وإنّ للتدريس على أيادي لا تُحصىٰ، ولولا أن الله ﷻ حبب إليّ التدريس وشغلني به= لكنت نسيت العلم منذ زمن طويل، ولكنت الآن أضارب في (البورصة) ومشجعًا متعصبًا لأحد الأندية الرياضية الأوروبية، ولكن الله سلّم.

أول الغيث قطرة

جلست في المسجد وعقدت حلقة لتدريس الآجرومية، وكان يحضر هذا الدرس مجموعة من الشباب في المرحلة الثانوية، كان هذا الكلام تقريبًا عام ٢٠٠٨م وهو أول درس ألقيه في النحو بالدوحة.

كانت طريقتي هي التحضير المكثف من الشروح، وكان بعض الإخوة ينتقدني علىٰ كثرة الشروح التي أجمعها حول المتن الواحد، والحقيقة أن كثرة الشروح تشتت الطالب، ولكنها لا تشتت المعلم، فلا يخلو كتاب من فائدة، والمسألة التي لم يوضحها فلان تجدها عند غيره، والعكس، وأما إذا فهمتُ المسألة من شرح واحد فإني أعتمده ولا أتنقل بين الشروح.

ويحصل ألا أجد حلًا للإشكال في الشروح أو لا يتضح لي جوابهم، فهنا أرجع إلىٰ شيوخي، وكذلك كنت أستشيرهم في طريقة التدريس نفسها.

وكنت أتعب في التحضير وأحتشد كي أكون مستعدًا للجواب عن تساؤلات الطلبة -وهي المهمة الأصعب من الدرس نفسه أحيانًا- ولا أستنكف بحمد الله إذا سئلت عن شيء لا أعرفه أن أقول (لا أدري)، ويحملني ذلك علىٰ البحث والسؤال.

وبهذه الطريقة شرحت الآجرومية كاملة، وفي الحقيقة كنت أنا المستفيد الأول، وكنت كأنما أشرحها لنفسي، وكان الطلبة خير معين علىٰ ذلك، وإنّ من أعظم النعم أن يوفق الإنسان لطلبة يشرح لهم العلم ويسألونه ويباحثونه وإلا لمات العلم واندرسَ من صدور الرجال، ونصوص السلف في هذا المعنىٰ كثيرة جدًا.

لذلك يروي عن بعض السلف أنه إذا لم يجد طالبًا يشرح له= فإنه يشرح لتيس، وربما جاوز حد الظرف فيضربه ويقول له (فهمتَ؟)

وذكر لي الشيخ أحمد الحازمي بمكة المكرمة أنه مكث برهة من الدهر لا يجد طلابًا يشرح لهم، فكان يجمع الوسادات (جمع وسادة) فيضعها أمامه ويتخيل أنهم طلبة أمامه فيشرح لهم الدرس.

وظلت هذه العادة معه حتىٰ بعد زواجه فكانت تسمعه زوجه[1] أحيانًا وهو وحده في الغرفة يتكلم ويشرح وما معه أحد

(١) وهو الأفصح، ويجوز: زوجته.

من الإنس، فكانت تظن في أول الأمر أن الشيخ به جنون، حتىٰ فسرّ لها الأمر.

علىٰ كلٍّ . . .

لما انتهيت من الآجرومية بهذه الطريقة وجدتُ أثرها في نفسي، وانتفعت بذلك انتفاعًا عظيمًا، فلزمتُ التدريس ملازمة تامة يومية إلا عطلة الأسبوع، وشرحت الآجرومية مرات وكرات بحمد الله، ثم اشتاقت نفسي أن أترقىٰ.

ففعلت مثل ذلك تمامًا مع (شرح قطر الندىٰ) لابن هشام، وقد كنت درسته مرتين علىٰ الشيخ عبد الرشيد مولوي الهندي في الرياض، الدراسة الأولىٰ كانت في بيت الشيخ، من جوازم المضارع إلىٰ آخر الكتاب، ثم درسته كاملًا مرة أخرىٰ علىٰ الشيخ في خمسة أيام، وكان هذا الدرس الثاني في منزل الشيخ الدكتور محمد بن عبد العزيز الخضيري.

ودرسته (متن القطر) علىٰ الشيخ عبد الله ولد أحمد كما تقدم، واستمعت إلىٰ شروح صوتية كشرح الشيخ عبد الرحمن كوني وغيره.

ثم شرحتُ الكتاب مرارًا، وغالبًا يكون الدرس مع شرحه لابن هشام، وقلما شرحت المتن مجردًا عن الشرح.

ثم جاءت المرحلة الأخيرة وهي الألفية: وفعلت معها كما فعلت مع الكتابين السابقين، حيث أخذت الألفية علىٰ جماعة من المشايخ متفرقين، ثم شرحتُ النظم، وسأذكر إن شاء الله في الخطة المنهجية المقترحة= الطريقة التي أقترحها لضبط هذه الكتب الثلاثة، وبطبيعة الحال لن أقترح علىٰ غيري شيئًا لم أجربه، فالخطة هي نتاج التجربة، وعند كلٍ خير.

الفصل الثالث
الخطة المقترحة لدراسة النحو

* «لو سقط علم النحو لسقط فهم القرآن».

ابن حزم الأندلسي

قد أكثر الناس من الكلام والتأليف في مناهج التحصيل ووضع الخطط، ولا مانع من أن نكرر أن هذه الخطط هي من قبيل الاجتهاد، وكل مجتهد فيها مصيب إن شاء الله.

بالنسبة لي: ليست عندي خطة «معجزة»، الخطة التي أقترحها تتلخص في دراسة ثلاثة كتب لا رابع لها:

١- الآجرومية (للمبتدئين)

٢- شرح القطر (للمتوسطين)

٣- الألفية (للمتقدمين)

وتقسيمي لهذه الكتب إلىٰ ثلاث طبقات (مبتدئين - متوسطين - متقدمين) هو تقسيم اعتباري فقط، أي باعتبار هذا الزمان البائس الذي نعيشه، وإلا فلو أنصفنا وحققنا الأمر لتبين لك أن كل هذه الكتب في الحقيقة= هي للمبتدئين في هذا العلم، وآيةُ ذلك أن الألفية -وهي ألف بيت- ما هي في نظر مؤلفها إلا (خلاصة)!

الخلاصة في تعبيرنا المعاصر أشبه (بالملزمة والمفكرة) فالألفية بالنسبة لبحر النحو= قطرةٌ يسيرة، وإن شئت قل: قطرات فقط.

بل أنا آتيك بما هو أوضح وأشد من ذلك، فمن المعلوم أن الألفية اختصرها مؤلفها من كتاب له آخر ضخم يقع في قرابة

الثلاثة آلاف بيت، ومع هذا نجد ابن مالك رحمه الله يقول في مقدمة منظومته الضخمة هذه، والتي سماها (الكافية الشافية):

وهذه أرجوزة مستوفيه عن أكثر المصنفات مغنيه

تكون للمبتدئين تبصره

وتُظفرُ الذي انتهىٰ بالتذكره

فهي صالحة للمبتدئين في زمانه، وينتفع بها المنتهي أيضًا.

وعليه: فإذا كنت درستَ الآجرومية والقطر والشذور والألفية وزدت عليها الكافية الشافية= فلا تظن أنك أصبحت من الأئمة المجتهدين وينتفش ريشك علىٰ إخوانك، بل أنت -عند الأوائل- ما زالت في طور التعلم.

هذا بالنسبة لعلم النحو من حيث هو، بقطع النظر عن أي شيء آخر.

فإن قال قائل: لكن هذا الكلام يبعث علىٰ اليأس والإحباط، ونحن لا نكاد نفهم هذه الكتب الصغيرة، فكيف سنفهم الكتب الكبار؟ ومتىٰ سنصل في علم النحو إلىٰ (النهاية)؟

فالجواب[(١)]: ليس المطلوب منك أصلًا أن تصل في علم النحو إلىٰ عمق البحر لأن ذلك تنقضي دونه الأعمار، وإنما أردتُ

(١) روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله، ثم انتهوا» [رواه أحمدُ]. وهو وإن كان في سنده كلام= إلا أنه صحيح المعنى إن شاء اللهُ.

من كلامي السابق أن علم النحو بحر واسع في نفسه لا تكدره الدلاء، وأن التقسيم الثلاثي المذكور تقسيمٌ اعتباري.

أما طالب العلم الشرعي فإنه يأخذ من النحو حاجته، ولا يُفني عمره فيه، فإن العمر قصير والعلم غزير، ويكفيه أن يصل إلىٰ مرحلة يضبط فيها شرحًا من شروح الألفية المتوسطة كالأشموني مثلًا، ثم ليس بعد ذلك إلا الممارسة وكثرة المطالعة وتنمية الملكة.

وقد أوصىٰ الإمام ابن حزم الأندلسي رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)] بعدم التوغل المفرط في علم النحو واقترح أن يكتفي الطالب بكتاب (الواضح) للزبيدي الأندلسي -وهو مطبوع في مجلد- أو كتاب (الجمل) للزجاجي -وهو في مجلد أيضًا وشرحه ابن هشام الأنصاري- وكذلك الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ له كلام قريب من هذا في رسالته المباركة (بيان فضل علم السلف علىٰ علم الخلف).

*** تنبيه:**

هذا التقرير يُخاطب به عموم الطلاب، وأما من أراد أن يصل إلىٰ منزلة (الاجتهاد) بحيث يناقش الشافعي ومالكًا وأحمد وأضاربهم، فتلك رتبة أخرىٰ، ومنزلة عالية لا يصل إليها إلا أفراد

(١) تجد كلامه في رسالتيه «مراتب العلوم»، و «التلخيص لوجوه التخليص».

من الناس، ومن أراد ذلك فإنّ هذه المختصرات لا تكفيه، وفي هذا يقول الشوكاني ﵀:

(ومَن جعل المقدار المُحتاج إليه في هذه الفنون هو معرفة مختصر من مختصراتها، أو كتاب متوسِّط من المؤلفات الموضوعة فيها، **فقد أَبْعَدَ**، بل الاستكثار من الممارسة لها، والتوسُّع في الاطلاع علىٰ مطولاتها، مما **يزيد المجتهد قوة في البحث**، وبصرًا في الاستخراج، وبصيرة في حصول مطلوبه، والحاصل أنه لا بد أن تثبُت له الملكة القوية في هذه العلوم، وإنما تثبُت هذه الملكة بطول الممارسة، وكثرة الملازمة لشيوخ هذه الفنون).

ومن قبله قال الشاطبي ﵀ كلمته الشهيرة:

(وإذا فرضنا مُبتدئًا في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطًا فهو متوسط في فهم الشريعة، والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، **فإذا انتهىٰ إلىٰ الغاية** في العربية كان كذلك في الشريعة).

أما شرح تلك (الخطة الثلاثية) ففي الفقرة القادمة:

شرح الخطة:

سأشرح لك الخطة علىٰ شكل خطوات، وكل ما سأذكره لك لا يخرج عن الكتب الثلاثة السابقة وعليك أن تلتزم بالترتيب الذي أذكره ليحصل لك التدريج (فإنما العلم بالتعلم):

(١) احفظ نظم عبيد ربه كاملًا، وادرسه عند شيخ، وإلا فاستمع إلىٰ شرح صوتي مختصر عليه: كشرح الحازمي (المختصر) أو الشرح الصوتي للعبد الفقير مؤلف هذا الكتاب[١].

(٢) ثم ادرس (التحفة السنية) ولي شرح صوتي عليه.

(٣) ثم ادرس (متن القطر) مجردًا عن شرح ابن هشام، وقد شرحه الشيخ سليمان العيوني، ولي شرح صوتي عليه.

(٤) ثم ادرس (شرح القطر) لابن هشام، وللشيخ عبد الرشيد مولوي الهندي شرح غاية في الجودة والنفاسة، لكنه غير متداول للأسف كغالب شروحاته، فإن وجدته فلا تلتفت لغيره من الشروح، وإن لم تجد فاستمع إلىٰ شرحي الصوتي.

(٥) ثم هنا أنت بالخيار: إن شئتَ فادرس شرح الشذور -وعليه شروحات صوتية في النت، ولي عليه شرح صوتي- وإن شئتَ انتقلت إلىٰ الكتاب الذي يليه وهو:

---

(١) لا أخفي علىٰ القارئ الكريم أني ترددت في ذكر شروحي الصوتية لأسباب تتعلق بتربية النفوس وتزكيتها، وقد استشرت غير واحد ممن أثق بعقلهم وفضلهم فأشاروا عليّ بذكرها، وذكروا لي حججًا وأقوامًا لي بهم خير قدوة وأسوة، فاللهم لا تمحق بركة أعمالنا، ونعوذ بك من الرياء والسمعة، ونعتصم بك من أمراض النفوس وعللها، والله الموعد.

(٦) ألفية ابن مالك: ويجب عليك حفظها كاملة إن استطعتَ، وإلا فاحفظ منها قسم النحو(وهو قرابة ٧٠٠ بيت، فإن لم تستطع فاحفظ الأبيات الجامعة منها) وفي هذه المرحلة تكتفي بحفظ النظم عن ظهر قلب، مع النظر في شرح يفك لك ألفاظه فقط ليسهل عليك الحفظ، كشرح المكودي أو شرح الحربي، وابن عقيل يفيد في هذا وإن كان لا يحلل الأبيات لكنه يشرح المسألة بوضوح، ولي علىٰ الألفية -بحمد الله- شرحٌ صوتي مختصر يقع في ٤٠ درسًا، وهو -فيما أعلم- أخصر شرح صوتي عليه في (الإنترنت)[(١)].

(٧) ثم أخيرًا تدرس شرح ابن عقيل كاملًا.

هذا ما يتعلق بعلم النحو، أما ما يتعلق بعلم الإعراب ومعاني الحروف -وهما مختلفان عن قضايا علم النحو في الكتب الثلاثة- فتدرس كتابين فقط:

(١) الإعراب عن قواعد الإعراب مع شرح الأزهري.

(٢) ومغني اللبيب لابن هشام

أما وقت دراستهما: فإما أن تجعلهما بعد الألفية، وإما أن تجعل الأول قبل الألفية والثاني بعد الألفية، والخطب يسير.

---

(١) تجد هذه الشروحات الصوتية في قناة (سالم القحطاني)= علىٰ موقع (اليوتيوب)، وكذلك علىٰ موقع (الشبكة الإسلامية-إسلام ويب) و(ساوند كلاود).

• **تنبيهات:**

(١) الأصل في هذه الكتب هو دراستها علىٰ المشايخ إن وجدوا، فإن لم تجد فاسمع الشروح الصوتية، والخير كله في أن تجمع بين الأمرين.

(٢) من الناس من يصعب عليه الدخول في شرح ابن هشام علىٰ (القطر) مباشرة بعد الآجرومية، لذلك اقترحت أن يدرس الطالب (المتن) مجردًا عن شرح ابن هشام فهو أسهل بمراحل، ثم يدرس (الشرح)، والأمر نسبي، وعلىٰ المعلم أن يُقدر الأصلح والأنفع للطالب، وقد شاورت فيه بعض المدرسين فوجدته قرر علىٰ طلابه (الثمر المستطاب) للأهدل، وأعرض عن متن القطر وشرحه تمامًا، ولم أرتضِ ذلك، لأني أردت أن تكون الخطة خالصة من كتب التراث المباركة.

(٣) غير المتخصص في العلم الشرعي: يكفيه أن يصل إلىٰ مستوىٰ (شرح القطر) أو إلىٰ ما يوازيه من الكتب النحوية المعاصرة، وهي كثيرة، منها كتاب (النحو الواضح).

كيف أدرس هذه الكتب؟

يظن بعض الطلبة أن المقصود من هذه الكتب هو حفظها كلها عن ظهر قلب، وليس كذلك، أما من حيث الحفظ: فيكفيك حفظ عبيد ربه والألفية فقط، وأما من حيث الدراسة فعليك أن تعتني بما سأذكره لك:

(١) ركز علىٰ التعريفات، وحاول أن تحفظها، واعرف محترزات القيود.

(٢) ركز علىٰ التقاسيم والأنواع، مثلًا (تنقسم (لما) إلىٰ ثلاثة أقسام) وهكذا.

(٣) ركز علىٰ القواعد المطردة والضوابط: خصوصًا التي تجدها في غير مظانها.

(٤) ركز علىٰ الشاهد الشعري وادرسه جيدًا، وذلك بحفظه أولًا ثم معرفة موضع الشاهد ثم معرفة وجه الاستشهاد، وقد تكفل محيي الدين بكل ذلك في حواشيه جزاه الله خيرًا.

هذا ما أعنيه بقولي (ادرس هذا الكتاب) وما سوىٰ ذلك مما تقدم: يكفيك أن تفهمه فهمًا عامًا دون أن تقف عنده ولا يطلب منك حفظه.

صناعة الإعراب

يشتكي كثير من الإخوة أنه ضبط القواعد النظرية من الكتب الثلاثة، ولكنه يُخطئ كثيرًا في إعراب المفردات والجمل، فما الرأي؟

هناك مقترحات كثيرة، لكني **أقترح** التالي:

ستمر بك خلال دراسة هذه الكتب الثلاثة وغيرها كثير من الشواهد الشعرية، فكلما مرّ بك شاهد: أعربه دون أن تستعين بشيء، فإذا فرغتَ فقارن ببين إعرابك وإعراب محيي الدين -حيث أعربَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جميع الشواهد- وصححِ الخطأ واثبتْ علىٰ الصواب واستمر، لو فعلتَ هذا في شواهد شرح القطر فقط= لوجدتَ تطورًا كبيرًا، فكيف لو فعلت ذلك في شواهد الشذور وشواهد ابن عقيل؟

ومن الناس من يقترح أن تفعل مثل ذلك في إعراب الألفية، وهذا مفيد جدًا لأنه أولًا يساعك علىٰ ضبط الإعراب أصالةً

ويساعدك علىٰ فهم وحفظ الأبيات ضمنيًا وتبعًا، وتقارن بين إعرابك وإعراب محيي الدين للألفية في الحاشية، أو تقارنه مع إعراب الأزهري علىٰ الألفية في كتابه المسمىٰ (تمرين الطلاب في صناعة الإعراب) وقد ذكر الشيخ الحازمي أن مَن أعرب الألفية كاملة واستعان بإعراب الأزهري فإنه لا تكاد تشكل عليه مسألة في النحو إن شاء الله.

ومن الناس: من يقترح نفس الطريقة ولكن مع القرآن الكريم، حيث تأخذ الآية ثم تعربها ثم تقارن إعرابك مع كتب إعراب القرآن، وهي كثيرة جدًا، من كتب متقدمة أو معاصرة، ومن الكتب المعاصرة الجيدة التي رجعتُ لها كثيرًا كتاب (المفصل في إعراب كتاب الله المرتل) طبع مرتين، مرة في اثني عشر مجلدًا، ومرة في ست مجلدات مضغوطة -وهي الأحسن- وليته نزه كتابه من الخوض في تأويل الصفات مع أن الكتاب في إعراب القرآن ولا علاقة له بعلم التفسير، والعجيب أنه لا يتعرض للمعنىٰ إلا عند آيات الصفات.

واعلم أن إعراب كلام الناس أسهل من إعراب كلام رب الناس،لأن الثاني بحر واسع، والقرآن حمّال وجوه، وقد تضيع إذا نظرت في كتب إعراب القرآن بين الخلافات والأقوال، لذلك كان الرأي والأسهل لك أن تعرب إما الشواهد الشعرية وإما نظم الألفية، والله يحفظك.

الفصل الرابع
التعريف بكتب نحوية

* «سيبويه الذي ليس في العالم مثل كتابه، وفيه حكمة لسان العرب».

ابن تيمية

كتاب وتعليق

تحت هذا العنوان، سأضع مجموعة من الكتب النحوية التي اطلعت عليها أو اشتغلت بها، ومن المعلوم أن كتب النحو بحر لا ساحل له، وليس مطلوبًا منك أن تطلع علىٰ كل هذه الكتب -سواء التي سأذكرها أو لم أذكرها- فقد تقدم لك أنك **لا تحتاج لضبط أصول النحو إلا إلىٰ ثلاثة كتب فقط**، إذا أتقنتها وهضمتها فلن يعسر عليك كتاب في النحو إن شاء الله، فليس وراء ذلك إلا المران والدربة، وإنما القصد من سرد هذه الكتب مع التعليق عليها هو النفع العام والفائدة، ولن أستوعب، بل سأذكر ما يحضرني الآن.

- **العوامل المائة للجرجاني:**

كتاب مبارك ونافع جدًا للمبتدي، وهو في نظرية العامل والمعمول، سهلٌ ومفتاح مهم لعلم النحو، وعليه شروح

ومنظومات كثيرة متقدمة ومعاصرة، ومن أجلّ شروحه: شرح العلامة خالد الأزهري، ولكن للأسف معظم طبعاته سيئة، ويعيب شرح الشيخ خالد أنه حشاه بالمسائل المنطقية، فتجاوزها إن شئتَ وانتفع بالكتاب.

وقد كان بعض أهل العلم يُدرّس طلابه هذا الكتاب قبل الآجرومية لتسهل عليهم، والأمر في هذا سهل، وإن كنت أرىٰ أن الأصلح لطلاب هذا الزمان أن يدرسوا هذا الكتاب بعد الآجرومية، ثم دراسته ليست بلازمة، بل هي مستحبة فحسب.

• نظم عبيد ربه لمحمد بن آبّ الشنقيطي:

هذا النظم علىٰ الآجرومية هو نظم عذب رائق لذيذ، غاية في السهولة والوضوح، وفيه مزايا:

منها: أنه نظم علىٰ أهم كتب النحو للمبتدئين.

ومنها: أنه قصير حيث يقع في قرابة ١٥٠ بيتًا.

ومنها: أنه ترك نظم المسائل التي لا يحتاج الإنسان إلىٰ حفظها منظومةً، بل يدركها بسهولة منثورةً، مثل تعداد الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة والضمائر وغيرها، كما أنه لم ينظم (فصل المعربات) لأنها فذلكة وتلخيص للأبواب السابقة فلا حاجة إليها.

ومنها: أنه مخدوم بشروح مطبوعة وصوتية، مختصرة ومتوسطة ومطولة.

ولهذا وغيره من المزايا أنصح الإخوة بهذا النظم المبارك، وأفضّله علىٰ نظم العلامة شرف الدين العمريطي الشافعي.

• شرح نظم عبيد ربه للشيخ أحمد الحازمي:

شرحَ الشيخ النظمَ صوتيًا مرتين، شرحًا مختصرًا -وهو نافع- وشرحًا مطولًا.

وقد فُرّغ وطُبع الشرح المطول فوقع في أكثر من ألف صفحة، وكما ترىٰ هذا عدد ضخم لطالب مبتدي، لذلك لا أنصح بشرحه الكبير، وإنما قد يصلح للمدرس إذا أراد أن يحقق مسألة مثلًا فليرجع إليه إن شاء، أما الطالب فلا أنصحه أن ينظر فيه، لأنه يشتت الذهن، وقد ينفر الطالب من النحو فلا يرجع إليه، وعذرُ الشيخ في هذا الصنيع أنه أراد أن يغني الطالب عن المرحلة البرزخية التي تكون بين الآجرومية والألفية، حيث جرت العادة أن يقرأ الطلبة شرح القطر، ولما كانت مسائل الآجرومية لا تؤهل من درسها لفهم الألفية= كان لا بد للطالب أن يدرس المتن المختصر بتوسعٍ كي يكون مؤهلًا لفهم الألفية، وهذه طريقة الشيخ في كل العلوم، فهو إن رأىٰ الطالب درس المتن الموضوع للمبتدئين دراسة مختصرة= أمره أن يدرس متنًا متوسطًا، وإن رآه

درسه بتوسع= أمره أن ينتقل إلىٰ الكتاب الأخير المخصص للمتقدمين، هذا هو رأي الشيخ وهذا اجتهاده.

- **التحفة السنية للعلامة محيي الدين:**

شرح مشهور غني عن التعريف، وقد وضع الله له القبول، فأقبل عليه الناس وانتفعوا به انتفاعًا كبيرًا، وهو شرح طيب لا بأس به، وقد طُبع عشرات الطبعات، لكني وجدت بعضًا من الطلبة يستصعبه لأنه يكون خالي الذهن نحويًا، فالأفضل لمن هذا حاله: أن يدرس قبله المتن مجردًا ثم يدرس التحفة.

- **شرح المكودي علىٰ الآجرومية:**

شرح مختصر جدًا ومبارك من رجل متقدم راسخ في النحو، وهو عندي أسهل من (التحفة السنية) وأخصر، و(التحفة) تفوقه في وجود التمارين والتدريبات آخر كل درس، وقد درّسته للطلاب وانتفعنا به، رحم الله مؤلفه رحمة واسعة.

- **الممتع في شرح الآجرومية لمالك بن سالم:**

هو شرح ممتع كاسمه ومختصر، والمؤلف معاصر، يركز كثيرًا علىٰ الأمثلة القرآنية وهذا مفيد.

• **الحوار في شرح الآجرومية للسيد الديب:**

هذا الكتاب فيه جهد طيب مشكور، وقد اشتغلت به برهة من الدهر، ودرّسته لمجموعة طلاب من دولة الفلبين، ومكثنا في هذا الدرس سنتين، ولما ختمنا الكتاب أقمت لذلك مأدبة ونظمتُ فيه شعرًا، وكان الدرس هذا -علىٰ طوله- من أمتع الدروس.

المؤلف مدرسٌ عندنا في قطر، وقد بذل جهدًا كبيرًا في هذا الكتاب، ولعل بعض الناس ينصرف عن هذا الكتاب لما يرىٰ من ضخامة حجمه، والواقع أنه كبير حجمًا لكنه صغير مضمونًا، فهو لا يتوسع في الشرح، ولكن الذي جعل الكتاب يكبر حجمه هو الخط المستعمل الكبير، والتكرار، والتدريبات والتمارين الكثيرة جدًا بعد كل باب، والتشجيرات والرسومات، والحواشي والمقدمة الطويلة، وما إلىٰ ذلك، كل هذا جعله كبيرًا، وإلا فتعاطيه لمسائل الباب التي يتصدىٰ لشرحها= مناسب وليس فيه تطويل.

سماه مؤلفه (الحوار) لأنه جعله علىٰ طريقة السؤال والجواب تسهيلًا علىٰ الطالب، لذلك يستطيع الطالب أن يدرس هذا الكتاب وحده دون شيخ -إن لم يجد- وإلا فالأفضل مع شيخ بلا شك، وكونه علىٰ هذه الطريقة الحوارية محبذ لكثير من الطلاب.

ومن مزاياه: أنه اعتنىٰ عناية بالغة بالشواهد القرآنية، ففيه مئات الأمثلة من القرآن والسنة كذلك.

ومنها: مقدمته فيها فوائد تتعلق بالحث علىٰ العربية وبيان مكانتها.

ومنها: أنه يراجع لك الدروس الماضية كي لا تنسىٰ، فإذا قطع شوطًا في الكتاب، وضع لك مراجعة وتطبيقات تذكرك بما مضىٰ.

وفي الجملة: فالكتاب جيد، ويعد إضافة جيدة لشروحات الكتاب، وهو يفيد الطالب، ويفيد المعلم أكثر للتحضير ونحو ذلك، وقد مدحه وكتب له تقريظًا الشيخ عبد الله الفقيه الشنقيطي -وفقه الله-.

- **متن الآجرومية بتحقيق وتعليق عبد اللطيف الخطيب:**

عمله جيد من حيث ضبط النص، ولكنه يتصيد الأخطاء علىٰ ابن آجروم ويبالغ في تتبعها ونقضها، الأمر الذي يشتت المبتدي ولربما زهده في الكتاب.

- **الأقوال الوفية شرح الآجرومية لحسن الحفظي:**

كنت أستفيد من شرحه كثيرًا لتحضير المادة في أيامي الأولىٰ للتدريس، فهو يتوسع ويذكر الخلافات، وكأنه أراد أن

يكمل المباحث الناقصة في الكتاب، عمومًا الكتاب يفيد المعلم للتحضير فقط، ولا يصلح للطالب المبتدي.

- **الوافي شرح الآجرومية لعبد الحميد بن خالد:**

شرح محرر ومتوسط الحجم، درّسته بعض الطلاب، ويحتوي علىٰ كثير من نصوص الوحي وفصحاء العرب.

- **أيسر الشروح علىٰ الآجرومية للحربي:**

سبق الكلام عنه في ثنايا الكتاب، وهو من الكتب التي يصلح أن تقرأها دون معلم، إذ كان غرضه ذلك، وهذا في حالة ما إذا كنتَ في بلد لا يوجد فيه معلمون= فإنه سيفيدك.

- **شرح ابن هشام علىٰ القطر:**

أ- طبعة المكتبة العصرية:

شرح ابن هشام غني عن التعريف وهو نفيس ومهم، ومن درسه عرف فضله، وأما هذه الطبعة فهي المتداولة بين الطلاب، والأخطاء المطبعية التي فيها قليلة جدًا، وقد قرأناها مرارًا علىٰ الشيوخ، وليُنتبه أن الدار طبعته أكثر من مرة، بينها تفاوت في الجودة.

هذا وقد خرجتْ بعدها طبعات كثيرة أجود ضبطًا للنص من طبعة المكتبة العصرية، ثم هي -أي العصرية- تحتوي علىٰ تعليقات العلامة محيي الدين عبد الحميد، وهي في الحقيقة لا غنىٰ لدارس الكتاب عنها، فاحرص أن تكون طبعتك محتوية عليها.

ب- طبعة مؤسسة الرسالة ناشرون - تحقيق بلعيد:

هذه الطبعة متقنة النص، وأجود في الورق والإخراج، وتعليقات المحقق نافعة جدًا وجميلة، وقد أضاف جداول ورسومات توضيحية وتشجيرات= تساعد علىٰ فهم الكتاب، مع التعليق علىٰ مواطن الإشكال، فعمله مبارك جدًا وطيب.

جـ- طبعة دار الآثار- تحقيق أبي بلال الحضرمي:

هذه حاشية عظيمة وجليلة، تغني عن غيرها ولا يغني غيرها عنها، طبع تحقيقه وتعليقه علىٰ الكتاب في دار الآثار -صنعاء، في مجلدين، وتعليقاته دقيقة وليس فيها حشو، ولا يستغني عنها الطالب والمعلم علىٰ حدٍ سواء، ويعرف مواطن الإشكال ويجيب عنها بأحسن جواب، ونقولاته تدل علىٰ اطلاع واسع، جزاه الله خيرًا ونفع الله به.

- **حاشية السجاعي علىٰ شرح القطر:**

حاشية مختصرة، فوائدها قليلة، يمكن الاستغناء عنها.

- **حاشية الآلوسي علىٰ شرح القطر:**

ليست مكتملة، وأكملها ولده، لغته عالية، ويقحم المنطق في النحو، من مزاياه أنه يرصد الإشكالات ويتنبه لها.

- **المنظومات علىٰ متن (قطر الندىٰ):**

لا تحتاج أن تحفظ منها شيئًا: وضعْ جهدك ووقتك كله في حفظ الألفية فهي كما قيل: «كل الصيد في جوف الفَرَا»[1].

- **الإعراب عن قواعد الإعراب لابن هشام:**

متن مختصر ونافع، وفيه فوائد وتنبيهات لا تكاد تجدها مجموعة عند غيره، ومن أهم مباحثه معرفة الجمل التي لها محل والتي ليس لها محل، وقد درسته بحمد الله مع شرحه الآتي علىٰ الشيخ عبد الرشيد الهندي، وهو مختصر من «مغني اللبيب» كما أشار ابن هشام لذلك في مقدمة «المغني».

---

(١) مثل عربي مشهور، والفَرَا: الحمار الوحشي، والجمع: فراء، وهو مَثَل يُضرب للشيء الذي يُغني عن غيره ويفوق أقرانه، وله قصة، خلاصتها: «أن ثلاثة نَفَرٍ خرجوا متصيدين، فاصطاد أحدُهم أرْنَبًا، والآخر ظبيا، والثالث: حمارًا، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا، وتطاولا عليه، فقال الثالث: (كُلُّ الصَّيْدِ في جوف الفَرا)، أي: هذا الذي رُزِقْتُ وظَفِرْتُ به يشتمل علىٰ ما عندكما، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعْظَم من الحمار الوحشي» (مجمع الأمثال) للميداني.

أنصح بدراسته ولكن بعد أن تقطع شوطًا في النحو بأن تكون انتهيت من شرح القطر مثلًا أو شرح الشذور، فادرس هذا المتن، ولو درسته مع شرحه الآتي فهو خير وهو:

- **موصل الطلاب إلىٰ قواعد الإعراب لخالد الأزهري:**

أنا مغرمٌ بهذا الرجل وجميع مؤلفاته -لا سيما مؤلفاته النحوية- وهو رجل عصامي، طلب العلم بعد الثلاثين فيما قيل بسبب طالب أزهري نعته بالجهل، وقصته ملهمة، وله ولع كبير بمؤلفات ابن هشام، فهو مهذِب ومنقح علومه، توفي عام ٩٠٥ هـ، وإنما نبهت علىٰ سنة وفاته لأني رأيت بعض الطلبة يظن أنه رجل معاصر وذلك لاسمه (الشيخ خالد) وأيضًا لسهولة أسلوبه، والرجل لا شك أسلوبه سهل، لكنه من السهل الممتنع، وأنا أنصح بتحصيل جميع مؤلفاته النحوية ففيها خير عظيم وسيأتي التنبيه علىٰ أجل وأهم كتبه.

تتسم مؤلفاته عمومًا بالترتيب وحسن العرض، وله عناية بالغة بالشاهد القرآني.

- **شرح شذور الذهب لابن هشام:**

كتاب عظيم وفاخر من عيون مصنفات الإمام، طعمه كالشهد بل أحلىٰ، وهو ذهب كاسمه، هجره الطلاب وانصرفوا

إلىٰ القطر= لأنه أكبر حجمًا منه، وقد فاتهم بذلك خير عظيم، الكتاب شرح علىٰ متن وضعه ابن هشام نفسه وسماه (شذور الذهب في معرفة كلام العرب) ثم شرحه (ولم يلقب الشرح بلقب) فأتىٰ فيه بالفوائد العظيمة والمسائل الجليلة وبالعجب العجاب، ونثر فيه قواعد وضوابط مهمة جدًا، وفيه نفائس ودقائق تتعلق بعلم التفسير رائعة جدًا، فرحمة الله عليه وما أعظم منته علىٰ عشاق العربية، أما طبعات الكتاب:

أ- طبعة المكتبة العصرية علىٰ الشذور:

هي الطبعة الأكثر تداولًا، ومكثنا مدة لا نعرف غيرها، وتحتوي علىٰ تعليقات محيي الدين وهي مهمة كما ذكرت آنفًا، نعم فيها بعض الأخطاء المطبعية.

ب- طبعة دار ابن كثير علىٰ الشذور:

هي أتقن من طبعة العصرية من حيث ضبط النص، وقد صححوا كل الأخطاء المطبعية التي في طبعة العصرية، وقد تدارست هذا الكتاب مع أحد الطلبة وكان هو يقرأ من طبعة دار ابن كثير وأنا ممسك بطبعة العصرية، فأصلحت منها مواضع، وبان لنا بهذا أن طبعة دار ابن كثير أضبط.

جـ- طبعة مؤسسة الرسالة ناشرون - تحقيق بلعيد:

طبعة حديثة صدرت هذا العام (٢٠١٩ م) وقد اقتنيتها ولكن لم يتيسر لي بعدُ قراءتها كاملةً، وإنما نظرت فيها نظرات وبدا لي

أنه سلك فيها نفس مسلكه في شرح القطر، فإن كان فعل ذلك فلعلها ستكون أجود الطبعات إن شاء الله.

- **الألفية- لابن مالك:**

المنظومة العذبة التي طبقت الآفاق، ولا تغيب عنها الشمس، فلا يدري إلا الله كم من شارح ودارس وحافظ وقارئ ومترجم لها!

أجود طبعتين لها:

طبعة دار ابن الجوزي -تحقيق الشيخ عبد الله الفوزان- وهي النسخة التي اشتغلت بها.

طبعة دار المنهاج تحقيق الشيخ سليمان العيوني: وهي أفضل طبعات الكتاب.

- **ألفية السيوطي، وألفية ابن الآثاري، وألفية ابن معطٍ:**

لا أنصحك بحفظ شيء من الألفيات سوىٰ ألفية ابن مالك، لأسباب، منها: أنه يصعب أن تجد أحدًا يشرحها لك، وليست مخدومة، وليس من الحكمة في شيء أن تترك كتابًا تتابع عليه العلماء قرنًا عن قرن وكتبوا عليه عشرات الشروح والحواشي وتذهب إلىٰ كتاب ليس عليه إلا شرح أو ثلاثة.

• شرح ابن عقيل:

هو الشرح المعتمد في كثير من البلدان، وسمعت بعض الإخوة يقول (هو شرح البنات) وذلك لسهولته ووضوحه، لذلك لا حاجة إلىٰ تلك الكتب التي تقوم (بتسهيل) أو (تقريب) أو (تهذيب) أو (ترتيب)= شرح ابن عقيل، لأنه في نفسه واضح وسهل، والإفراط في التسهيل قد يؤدي بالذهن إلىٰ البلادة، وللكتاب طبعات كثيرة:

أ- طبعة المكتبة العصرية:

هي الطبعة المشهورة للكتاب، ومعها تعليقات محيي الدين، ولا غنىٰ لك عنها، لكن فيها بعض الأخطاء المطبعية والسقط.

ب- طبعة دار العلم للملاين:

ممتازة، في مجلد واحد.

جـ- طبعة مؤسسة الرسالة ناشرون:

هي أفضل طبعة وقفت عليها، ومعها تعليقات محيي الدين، وصححوا الأخطاء المطبعية الموجودة في طبعة العصرية، وزادوا عليه تعليقات جيدة، وأضافوا الرسومات والتشجيرات التوضيحية، وبذيله فوائد منتقاة من كتب النحاة.

- **حاشية الخضري علىٰ ابن عقيل:**

حاشية مختصرة ومفيدة، لكن معظم طبعاتها رديئة، ولا يستغني عنها من يدرس شرح ابن عقيل، وكان الشيخ الحازمي يجلها، ويرىٰ أن من استوعبها مع ابن عقيل فقد يستغني عن الأشموني، لأن الشيخ يرىٰ أن ابن عقيل لا يكفي طالب العلم بل لابد أن يزيد عليه، وهذه الزيادة إما أن يأخذها من الأشموني أو من الخضري وذلك أضعف الإيمان.

- **أوضح المسالك لابن هشام:**

كان مقررًا علينا في الجامعة كما أسلفتُ، وهو وإن كان ظاهره شرحًا إلا أنه في الحقيقة (متن) يحتاج إلىٰ (شرح) لذلك تصدىٰ لشرحه العلامة خالد الأزهري كما سيأتي، الكتاب صنفه ابن هشام بطريقة مركزة وألفاظ مضغوطة كي يسهل حفظه لمن أراد، وأسلوبه فيها عالٍ، ولكن الله لم يكتب له الانتشار والتداول -في عصرنا- مثل شرح ابن عقيل والمكودي مثلًا، وقد اشتغل عليه محيي الدين وعلق عليه بتعليقات نافعة وأخرجه للناس في أربعة أجزاء عند المكتبة العصرية، ومن عيوب الكتاب أنه لا يتعرض لأبيات الألفية، فهو يشرح المسألة دون شرح

الأبيات وكأن الأبيات غير موجودة، وهذا لا يفيد من يشتغل بالألفية وإنما يفيد الباحث عمومًا، ولا يورد بيت الألفية إلا إذا أراد نقده، والمشتغل بحفظ الألفية يهمه جدًا الشرح الذي يُعنىٰ بفك ألفاظ المنظومة.

وللكتاب طبعات حديثة أخرىٰ، وعلىٰ كل حال فالذي أنصح به الطالب إذا ضبط ابن عقيل أن يطالع (شرح الشرح) وهو كتاب:

- **التصريح بمضمون التوضيح لخالد الأزهري:**

وهو أجل مصنفاته النحوية، ومن درر كتب النحو، ومن أحب كتب النحو الموسعة إليّ، وحسبك أنه اجتمع في كتاب واحد عملٌ لثلاثة علماء أجلاء وهم (ابن مالك - ابن هشام - الأزهري) وحسبك بكتاب نحوي يجتمع فيه هؤلاء الثلاثة.

لا ينبغي أن يفوت هذا الكتاب من ضبط ابن عقيل وأراد أن يتوسع في النحو، فهو كتاب يملأ كفيك دررًا، مع لغة سلسلة عالية، وعناية كبيرة بالشاهد القرآني.

الكتاب عبارة عن شرح (ممزوج) علىٰ شرح ابن هشام علىٰ الألفية، فهو شرحٌ لشرح، وقد وفق الأزهري في هذا المزج حتىٰ إنك لتظن أنه كتاب واحد لا اثنان، فلله دره.

الكتاب للأسف الشديد له طبعة متقنة واحدة وهي رسالة علمية في خمس مجلدات، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إبراهيم، وهي للأسف نادرة الوجود، وباقي طبعات الكتاب المتداولة ليست بذلك.

وللشيخ ياسين حاشية علىٰ التوضيح مطبوعة في مجلدين عند دار الفكر، لكني لم أشتغل بها.

- **شرح الأشموني:**

شرح متوسط الحجم رائع وجميل، ليس بالمختصر المخل ولا بالطويل الممل، واعتمده الشيخ الحازمي في شرحه الصوتي علىٰ الألفية، بل معظم شرحه علىٰ الألفية استمده منه، ومن ضبط ابن عقيل يستطيع أن يقرأه وحده ويستمتع به، وأنصح الطالب أن يأخذ فوائده الزائدة وينقلها علىٰ نسخته من ابن عقيل.

للكتاب طبعات كثيرة، معظمها تجارية للأسف، والطبعة التي اشتغلت بها هي (الأزهرية) وفيها أخطاء كثيرة، لكنها أخطاء واضحة، وهناك نشرة لمحيي الدين عبد الحميد للكتاب مجردًا عن التعليقات والحواشي، وهي نادرة، وله عمل آخر علىٰ الأشموني مع التعليقات والحواشي، ولكنها ليست كاملة حسب علمي، وهناك طبعة لدار الطلائع اقتنيتها لكن لم يتيسر لي التدقيق فيها، وأرجو أن تكون خير الطبعات.

- **حاشية الصبان علىٰ شرح الأشموني:**

لا تحتاج أن تقرأها كاملة، وفيها تلك التشقيقات المنطقية، ولكن مع ذلك إذا كنت ستطالع الأشموني فإنك تحتاج أن ترجع إليه لحل بعض الإشكالات فحسب وللاطلاع علىٰ الآراء الأخرىٰ في المسألة.

- **شرح المكودي:**

معتمد عند المغاربة، مختصر غير مخل، ويعتني بألفاظ الألفية، ويعرب أبيات الألفية في ختام شرح كل بيت، وهذه ميزة مهمة، لأنه يساعد علىٰ التدريب، وإعرابه فيها مختصر جدًا مما ساعد علىٰ صغر حجم الكتاب، إذن هو شرح وإعراب للألفية في مجلد واحد لطيف، وهذه ميزة أيضًا، وذلك لأن العلماء بلغت عنايتهم بالألفية أنهم أعربوها في مصنفات مستقلة، ككتاب «إعراب الألفية» لابن طولون، وإعراب الشيخ العلامة خالد الأزهري المسمىٰ «تدريب الطلاب علىٰ صناعة الإعراب»، وهو مفيد جدًا وخير طبعاته طبعة دار ابن حزم-.

أسلوب المكودي مباشر وجميل، وهو يقوم مقام ابن عقيل عند بعضهم، ويُقال إنّ المكودي هو الذي أشهرَ الألفية بين المغاربة، ولابن حمدون حاشية جميلة عليه، طبعتها دار الفكر.

- **شرح برهان الدين ابن القيم علىٰ الألفية:**

شرح مهجور لأحد أولاد ابن القيم وهو برهان الدين إبراهيم، يقع في مجلدين، نشرته دار أضواء السلف، اطلعت عليه قديمًا: وهو جيد.

- **شرح السيوطي علىٰ الألفية:**

هو الشرح المعتمد عند أهل العراق وإيران خصوصًا الرافضة، مختصر جدًا أشبه بالمتن منه بالشرح، وللقوم عناية كبيرة به، وهو عندهم كابن عقيل عندنا، وللروافض عليه حواشٍ، وله طبعات كثيرة، ومن الطرائف أني وقفت علىٰ طبعة إيرانية زعم صاحبها في المقدمة أن السيوطي كان سنيًا ثم صار رافضيًا، ومَن كذب علىٰ الله ورسوله ﷺ= ليس عسيرًا عليه أن يكذب علىٰ العلماء.

- **ملحة الإعراب للحريري:**

من أعذب المنظومات النحوية، ولشدة وضوحها لا تحتاج إلىٰ شرح، ولكني لا أنصحك بحفظها، فالخير الذي فيها موجود في الألفية وزيادة، ولكن طالعها إن شئتَ بعد دراستك وضبطك

لشرح القطر، واختر منها الأبيات التي تروق لك، وهذا علىٰ سبيل الاستحباب لا الوجوب.

- **همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي:**

موسوعة نحوية ضخمة، في سبعة أجزاء، وهي كالمغني لابن قدامة عند الفقهاء، ولا يفوقها في الموسوعية إلا شرح الشاطبي علىٰ الألفية، الكتاب مرجع مفيد لك إذا أردت التوسع في مسألة ما أو البحث فيها، فهو يحشد جميع الأقوال، ويفيد في هذا الباب.

- **الشرح الميسر علىٰ الألفية للحربي:**

هو شرح موجز جدًا يصل إلىٰ حد الاختصار المخل في بعض المواضع، لأنه أقرب إلىٰ حلّ المنظوم فقط مع التمثيل، ومعنىٰ حلّ المنظوم: تحويل الأبيات الشعرية إلىٰ كلام نثري، وهذا في الحقيقة نافع لمن أراد أن يحفظ الألفية فقط، ولا يريد الدخول في تفاصيل شرح البيت، وإنما يريد فهم البيت فهمًا إجماليًا عامًا ليسهل عليه حفظ البيت، لأن حفظَ أي كلام دون فهم له أعسر من حفظه مع فهم، فمن كان غرضه هذا، وأراد أن يعتكف علىٰ الألفية حفظًا ثم بعد ذلك سيتفرغ لاستشراحها= فإنّ

هذا الكتاب سيكون خير معين له، لأنه كالمفكرة والمذكرة، وأما من أراد شرح البيت بإسهاب وإعطاء البيت حقه من منطوق ومفهوم وقيود واحترازات وخلافات= فالكتاب لن يفيده، لأن مؤلفه لم يضعه لذلك، وللشيخ مادة مرئية علىٰ اليوتيوب بعنوان (نثر الألفية) يفعل فيها ما ذكرته لك، وهي تفيد الحفاظ، وتفيد من أراد المراجعة السريعة.

وهذا أصلٌ في تقييم الكتب:

فإنك تجد بعض الناس يُطلق القول في كتابٍ ما فيقول هذا سيء وهذا جيد، وهو يريد أنه سيء من وجه معين، وما من كتاب -غالبًا- إلا وتنتقده من وجه وتستحسنه من وجه آخر، ولذلك قال ابن الجوزي (لا يخلو كتاب من فائدة) فإذا عرفتَ هذا استطعتَ أن تنتفع بكثير من الكتب التي يقولون عنها سيئة!

- **دليل السالك إلىٰ ألفية ابن مالك - للفوزان:**

الشيخ عبد الله مؤلفاته طيبة ونافعة، وهو يجتهد في إخراج كتبه وتحريرها، يقع شرحه هذا في مجلدين، ويُعد من الشروح المتوسطة، استفاد فيها من شرح ابن عقيل، وزاد عليه زيادات كثيرة، للشيخ قدرة ظاهرة علىٰ شرح المسائل وترتيبها وحسن عرضها، وشرحه هذا عندي هو أحسن الشروح المعاصرة علىٰ الكتاب، وكنت أرجع إليه كثيرًا إبان اشتغالي بحفظ الألفية، وقد

استفاد من كتب النحو المتقدمة والمعاصرة، مما يدل علىٰ اطلاع واسع عند الشيخ، ويأتيك كذلك بأمثلة مبتكرة.

- **النحو الوافي لعباس حسن:**

وهو كتاب معاصر في أربع مجلدات، بمثابة الشرح علىٰ الألفية وإن لم يصرح بذلك، وقد جعله علىٰ قسمين: قسم للطلاب، وقسم للأساتذة والمتخصصين، وذلك في كتاب واحد، وقلما رجعتُ إليه في مسألة لم أفهمها إلا وفهمتها منه، لأنه يسهب في الشرح والتوضيح وضرب العديد من الأمثلة، ثم هو يحشد ما قيل في المسألة ويختار منها قولًا، ويميل غالبًا إلىٰ التسهيل، ويظهر من كتابه أن الرجل ذكي ومستوعب لكلام النحاة، ويورد عليهم اعتراضات كثيرة، وينتقد أحيانًا بشدة ولا يبالي.

في الجملة: الكتاب ينبغي أن يكون في مكتبتك ترجع إليه عند الحاجة ولا يلزم أن تقلده في كل آراءه واختياراته.

- **النحو الواضح لمجموعة مؤلفين:**

شرحته مرة واحدة في دورة شرعية لغير العرب، ولكن لم أشرحه كاملًا، وهو سهل، ويصلح لغير المتخصصين في النحو.

وهنا أحب أن أسجل كلمة تتعلق **بكتب المعاصرين النحوية** تحديدًا:

من الناس من يرفض كتب المعاصرين كلها، ومنهم من يتربىٰ عليها من البداية إلىٰ النهاية، ورأيي في هذا وسط بين الأمرين، فخذ من كتب المعاصرين الجيد النافع فإنك ستحتاج إليها أوائل الطلب، واجعلها كالمفتاح لدخول باب النحو، فإذا دخلتَ ووصلتَ فعليك بالنبع الأول وكتب المتقدمين فهي الخير كله، وعليها ينبغي أن يتربىٰ الطلبة، وبها تتنامىٰ الملكة أسرع وتقوىٰ، هذا بالنسبة لطلاب العلم الشرعي، أما عموم المثقفين وغير المتخصصين فكتب المعاصرين تغنيهم وتكفيهم وزيادة.

- **شرح الحازمي الصوتي علىٰ الألفية:**

يقع في ١٣٨ درسًا تقريبًا، بعض دروسه في ساعة ونصف وبعضها في ساعتين، وقد استمعت إلىٰ شرحه كاملًا، وهو يشرح البيت بإطناب، ثم إذا انتهىٰ من الشرح قرأ شرح ابن عقيل قراءةً سريعة ولا يقف عنده ولا يعلق إلا نادرًا، لأنه يكون قبلها قد أشبعَ المسألة شرحًا وبحثًا، وكثيرًا ما يتعرض لإعراب أبيات الألفية لا سيما المشكل منها، ويتوسع في الشرح، ويعتمد اعتمادًا شبه كلي علىٰ شرح الأشموني وحاشية الصبان، وشرحه جيد ونافع لمن أراد التوسع، وأحيانًا يبالغ في التوسع فيشرح البيتين

في ساعة، لذلك شرحه لا يصلح أبدًا لمن يدرس الألفية أول مرة، وإنما يصلح لمن ضبط ابن عقيل ثم أراد أن يتوسع.

• شرح عبد الرحمن كوني علىٰ الألفية - صوتي:

شرحه علىٰ النظم، وهو شرح مختصر غير مكتمل حسب ما وقفت عليه، والشيخ من أهل هذا الفن، وقد شافهني الشيخ خالد السبت -وفقه الله- بأن الشيخ كوني ورث العلم وراثةً من العلامة الكبير شيخ مشايخنا أحمدو الشنقيطي المدني رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي كان آية من آيات الله في العلم، ورأيت الشيخ عبد العزيز الحربي يعظمه ويجله، وقد ترجم له ترجمة مختصرة ممتعة في صدر شرحه المطبوع علىٰ (مقصورة ابن دريد) فانظرها.

• معاني النحو للدكتور فاضل السامرائي:

هذا الكتاب من مفاخر هذا العصر، جمعه مؤلفه في عشر سنوات من البحث والجد والتنقيب والتأمل، وقضيته في الكتاب هي التركيز علىٰ المعاني، والفرق في (المعنىٰ) بين أسلوب وآخر، مثلًا: ما الفرق بين قولك: «لا رجلَ في الدار»، و «ما رجلٌ في الدار»، وغير ذلك كثير مما هو مبثوث في الكتب النحوية، فجمعها الشيخ في كتاب واحد مع دراستها دراسة دقيقة، وجاء كتابه في أربع مجلدات، ولن يستمتع بهذا الكتاب إلا من

انتهىٰ من ضبط ابن عقيل، ودرس شيئًا من الصرف، وضبط مختصرًا في البلاغة.

- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام:**

جوهرة مؤلفات ابن هشام، وكنزه الثمين، وبحره الزاخر، تتابع عليه العلماء شرحًا وتحشيةً ونظمًا واختصارًا، حتىٰ إن بدر الدين الدماميني شرحه ثلاث مرات، وهو الكتاب الذي لا يستغني عنه نحوي، وله طبعات كثيرة منها طبعة محيي الدين، وطبعة عبد اللطيف الخطيب -وفيها أخطاء- وأحسنها طبعة قباوة في مجلد واحد ضخم، واختصاراته كثيرة: منها مختصر ابن عثيمين، ومختصر الخطيب وهو أحسنها، وإن كانت لك همة فاختصره أنت لنفسك، ولا يعرف قدر هذا الكتاب إلا من طالعه، ولا تطالعه إلا بعد ضبطك لابن عقيل ثم تدرس (الإعراب عن قواعد الإعراب) ثم تختم بالمغني، وهو مغنٍ كاسمه، وأحسِب أنه آخر ما تحتاج أن تدرسه من الكتب، وبهذا وصلت إلىٰ آخر الكتب التي أحببت تعريفك بها.

الخاتمة
وفيها وصايا

«من تبحرَ في النحو اهتدىٰ إلىٰ كل العلوم»

الشافعي

• هذه المحطة الأخيرة لي معك أيها القارئ الكريم، وأحب في الختام أن أوصيك بهذه الوصايا علّ الله أن ينفعك بها:

(١) لا تلتفت لمن يقول (النحو صعب وثقيل) بل هو سهل وممتع إذا درسته علىٰ وجهه الصحيح، وفيه رياضة ذهنية ودقة ترفع من مستوىٰ الذكاء عند الإنسان، وكي أكون صريحًا معك فإن المقدار الذي تحتاجه من النحو هو السهل، والصعوبة تكمن في الخلافات العالية والعلل، وهي الأمور التي لا يحتاجها إلا المتخصص.

(٢) اصبر وصابر ولا تستعجل الثمرة والنتيجة، فالعجلة لا تكوّن لك الملكة، وقد ذكروا عن الشيخ مقبل الوادعي أنه درس شرح القطر ست مرات كي يفهمه، وكان أصحابه يمرون به ويضحكون عليه، وما ضره ذلك في شيء، ومثل هذا الخبر من التكرار للكتاب الواحد حصل لجماعات من أهل العلم في القديم والحديث.

(٣) النحو علم تراكمي، سلسلة مترابطة بعضها ببعض، فإذا لم تفهم الدرس الأول لن تفهم الثاني، وإذا لم تفهم الثاني لن تفهم الثالث، وهكذا، فاحرص ألا تنتقل لباب جديد إلا وقد فهمته -ولو فهمًا مجملًا- وهذا بخلاف علم (الفقه) مثلًا فيمكن

أن تدرس كتاب البيوع وتفهمه وأنت جاهلٌ تمامًا بكتاب الطهارة، وهكذا.

(٤) استمع لهذه الوصية جيدًا: لا يشترط أن تفهم كل سطر وكل كلمة في الكتاب، يكفيك أن تفهم معظمه، خصوصًا في الكتب المتوسطة فما فوق، ببساطة لأن ما لم تفهمه اليوم ستفهمه غدًا، أما أن تكون ممن إذا لم يفهم مسألة توقف عندها ولم يتحرك= فسيطول عليك الأمر وأخشىٰ عليك من الملل والفتور ثم الترك الكلي، ولا تتعارض هذه الوصية مع الوصية التي سبقتها، لأني أقول يكفي أن تفهم الباب إجمالًا كي تنتقل إلىٰ الذي يليه، ولا يشترط أن تفهم (كل) مسألة تحت هذا الباب، بل يكفي فهم معظمه.

(٥) النحو فيه ما يُحفظ، وفيه ما يُفهم، كأي علم، وكلاهما ضروري لك، ومما أضر بكثير من الطلاب أنهم لا يريدون أن يحفظوا، والحمد لله أن الذي تحتاج حفظه قليل بالنسبة إلىٰ ما تحتاج فهمه، وقد ذكرته لك سابقًا وهما (نظم عبيد ربه والألفية) فحسب، ثم تجعل طاقتك كلها في الفهم والممارسة.

(٦) النحو وسيلة وليس غاية، فخذ من النحو حاجتك ولا تُفنِ عمرك فيه ثم انطلق في العلوم الشرعية، وحين نقول (خذ

حاجتك ثم انطلق) لا نقصد أن تترك النحو وراءك ظهريًا، بل المقصود خذ حاجتك واصحبه معك في فهم كل العلوم، لأنك ستحتاج إليه في كل كلام عربي تقف أمامه بل في كل جملة بل في كل كلمة بل في كل حرف، وهذا مما يبين لك أهمية وخطر هذا العلم، وهذا بخلاف غيره من العلوم فمثلًا علم العروض والقوافي لن تحتاجه مع جميع النصوص، بل مع الشعر فقط، ولغرض معين وهو معرفة المكسور من المستقيم، ونسبة الشعر إلىٰ النثر= أقل بلا شك، وقل مثل هذا في كثير من العلوم.

(٧) الغاية من النحو أن تحسن القراءة والكتابة والكلام، وتستعين به علىٰ فهم نصوص الوحي، فلا خير في رجل يحفظ الألفية كالفاتحة ثم هو لا يحسن أن يكتب جملة نافعة، ولا أن يلقي كلمة حسنة ولا يقرأ نصًا سليمًا.

(٨) لذلك احرص علىٰ الممارسة (التطبيق)، تكلم بالعربية واكتب بالعربية، وإلا فلا فائدة من دراستك لهذه الكتب،ولا تُتعب نفسك.

(٩) إذا فهمت الآجرومية جيدًا، فاحرص علىٰ تدريسها ولو لطالب واحد، **فتدريسك لكتاب مرة خير لك من تكراره عشر مرات**، وهذا ثابت بالتجربة، ولا تلتفت لمن يقول (التدريس للعلماء) فهذا خطأ وخلط عظيمان، أما كونه خطأ: فلأنه مخالف للواقع، وأما كونه خلطًا: فلأن هذا القائل لم يفرق بين التصدر

والتدريس، التدريس الذي أقصده هو أن تنزوي أنت وصاحبك في مكان ما، وتشرح له، وهو ما نسميه (بالدرس الخاص)، ولست أقصد أن تجلس لعامة الطلاب والناس ويلتف حولك الطلبة ويكون درسك مقصودًا مشهودًا معلنًا عنه عند الجميع، وهو ما نسميه (بالدرس العام) فهذه مرحلة لاحقة، وإياك أن تستعجلها، فقد قيل (حب الظهور يقصم الظهور).

(١٠) لا تُكثر التنقل بين الشروح والكتب، في مرحلة التحصيل الأولىٰ عليك بالتركيز علىٰ كتاب واحد، وشرح واحد، وشيخ واحد، إنما كثرة الشروح تكون للمعلم ليُحضّر منها، أما أنت فيكفيك ما يقوله لك الشيخ في الحلقة.

- **وأما إخواني المدرسون فأوصي نفسي وإياهم بالتالي:**

(١) احتساب الأجر عند الله ﷻ في تعليم العربية في هذا العصر الذي طغت فيه العجمة والأعجمية، وصار العرب -قبل غيرهم- يسخرون من لغتهم، فاعلم يا معلم النحو والعربية أنك علىٰ ثغر عظيم وباب جليل، وأن تعليم الناس هذا العلم من فروض الكافيات ومن أجل الطاعات كما نص عليه جماعات.

(٢) لا تستعرض عضلاتك علىٰ الطلبة، وجاهد نفسك علىٰ ألا تُلقي عليهم ما يضرهم ولا يحتاجونه في هذه المرحلة الأولىٰ تحديدًا.

(٣) احرص علىٰ أن يعرب كل طالب عندك، في كل درس، ولا تكتفِ بشرح الكتاب نظريًا، ولا تكتفِ أيضًا بإعرابك أنت لهم، بل لا بد أن يعرب الطالب بين يديك.

(٤) في المرحلة الأولىٰ أقترح عليك أن تقتصر علىٰ الإعراب الإجمالي دون التفصيلي، وهو الذي يسلكه ابن هشام في بعض مصنفاته، كأن تقول مثلًا في (قام زيد) فعلٌ وفاعلٌ، وفي (بزيد) جار ومجرور، وفي (لم يلد) جازم ومجزوم، وفي (لن تضربَ) ناصب ومنصوب، وهلم جرًا، هذا أول الأمر فقط، ثم توسع معه بعد ذلك.

(٥) الطلاب متفاوتون في قدراتهم الذهنية، ومن عيوب التعليم الجماعي= وضع الجميع في سلة واحدة، والتعامل معهم تعاملًا واحدًا، وأنت بفراستك واختبارك غير المباشر لهم تستطيع أن تميز بين مستوياتهم، وعليه عليك أن تراعي أن هذا الطالب قد لا يصلح له أن يكون أول كتاب يدرسه مثلًا (التحفة) وذلك لأنك لمستَ منه ضعفًا شديدًا في الاستيعاب، فحينئذ انقله مباشرة إلىٰ (المتن) مجردًا عن الشرح أو نظم عبيد ربه، ثم بعد ذلك اشرح له (التحفة)،وهكذا فاصنع معه إن رأيتَ أن (شرح ابن هشام علىٰ القطر) لا يصلح له فانقله إلىٰ (متن القطر) مجردًا، وهلم جرًا.

(٦) احرص في المرحلة الأولىٰ علىٰ تجنب الخلافات النحوية.

(٧) أحيانًا تمر بك مسألة أجنبية عن النحو مثل مسألة بلاغية أو صرفية أو منطقية، فإن كنتَ في المرحلة الأولىٰ والمتوسطة فلا عليك ألا تشرحها ولا يضرك، خصوصًا مسائل المنطق ينبغي أن تتجنبها، وقد عاب بعض أهل العلم علىٰ النحاة إدخالهم تعريف المفرد -مثلًا- علىٰ طريقة المناطقة في كتب النحو، وقالوا إنه من باب تداخل العلوم.

(٨) التزم في درسك الكلام بالعربية المستقيمة، وإياك والعامية الدارجة، ولا يغرنّك تساهل بعض الأكابر في ذلك، ولأن تتكلم بالعربية فتُخطِئ= خيرٌ من أن تتكلم في درسك بالعامية، لا سيما والدرس في النحو! نعم لا بأس أن يُطّعِم الإنسانُ درسَه ببعض الكلمات العامية من باب تلطيف الجو وتقريب بعض الأمور لذهن الطلبة، لكن أن يكون الدرس كله أو معظمه بالعامية الدارجة= فهذه والله جريمة نكراء في حق العلم وأهله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية «وإنَّما الطَّريق الحَسَن= **اعتياد الخطاب بالعربيَّة**، حتىٰ يتلقنها الصّغار في الدُّور والمكاتب، فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلكَ أسهل علىٰ أهل الإسلام في فِقه معاني الكتاب والسُّنَّة وكلام السَّلَف».

(٩) احرص علىٰ (أمثلة النحاة) ولا تستهن بها، فهي مقصودة، وستجدها أمامك في كتب التفسير وشروح الحديث

والفقه وكثير من العلوم، وربما اختصر العلماء المسألة في كتب العلوم الشرعية فيقولون هذه المسألة مثلًا من باب (الكُحل) أو من باب (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) فيذكرون مثالها الشهير عند النحاة دون شرح ولا تفصيل لها، فمن لم يعرف ويعتد علىٰ أمثلة النحاة الشهيرة التي رمزوا بها لأبواب معينة= فإنه قد يشكل عليه، نعم لا بأس أن تزيد علىٰ أمثلة النحاة= أمثلةً من عندك، ولكن المقصود ألا تهمل أمثلتهم بالكلية.

(١٠) التمثيل من الوحي -بعد أمثلة النحاة- يزيد القاعدة جمالًا ويقنع طالب العلم الشرعي -عمليًا- بأهمية النحو، وحاجتنا الشديدة إليه في فهم الوحي، فاحرص علىٰ ذلك لعلّ أن يبارك في جهودك وينفع بك.

*** تلك عشرة كاملة.**

وهي ختام هذا الكتاب المختصر، أسأل الله أن ينفعك بما فيه، وأن يرزقنا وإياك العلم النافع والعمل الصالح، والله الموفق والهادي.

سالم القحطاني

٥ شعبان ١٤٤٠ هـ

١٠ أبريل ٢٠١٩م

في جو السماء

﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا﴾ [يوسف: ٦٥]

«كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعىٰ أمام **سحر تلك اللغة**».

المستشرقة الألمانية زيجريد هونكه